الأخلاقيات الإدارية في نهج البلاغة

Administrative Ethics in Nahj Al-Balagha

د. سمية حسنعليان
الأستاذ المشارك في اللغة العربية
وآدابها بجامعة أصفهان- إيران

Dr. Sumaya Hassan Olayan

Associate Professor of Arabic Language and Literature,

University of Isfahan, Iran.

ملخص البحث

إنّ أهمية الإدارة الإسلامية وضرورة رعاية أصولها الخاصة ولاسيما المبادئ الأخلاقية فيها جعلت الباحثين يبحثون عما يتعلق بها؛ إذ الإدارة الناجحة من العوامل المهمة في تطور الحضارة الإسلامية. ومن جهة أخرى للتراث أهمية خاصة كونه قدوة للحاضر، وهو مظهر من مظاهر عبقرية الأمة الإسلامية. ومن ذلك التراث الضخم الذي ورثته الأمة الإسلامية كتاب نهج البلاغة ذو المفاهيم العالية والتعاليم السامية التابعة للنهج القرآني ودراسة هذا التراث تفتح الآفاق الجديدة للإنسان المعاصر وتمكنه من اتباع النهج السليم.

وانسياقا مما مضى يستهدف هذا البحث إلى دراسة الأصول الأخلاقية التي لا بد من رعايتها في الإدارة لتؤدي إلى النجاح والسعادة من منظور الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة؛ والمنهج الذي توخاه البحث هو الوصفي التحليلي.

ومن أهم نتائج البحث أن بؤرة اهتمام الإمام في الإدارة هو الإنسان وحفظ الكرامة الإنسانية، وكل تلك التعاليم والمؤشرات الأخلاقية تنظر إليه وتدور حوله، من أهمها: العدالة، الصبر، الخلق الحسن، الصلاحية، التواضع، التسامح والرفق وغيرها.

الكلمات المفتاحية: الإدارة، نهج البلاغة، الأخلاق، العدالة، الإصلاح

Abstract

The importance of Islamic management and the need to pay attention to its origins, especially its ethical principles, which made researchers search for what is related to it; Successful management is one of the important factors in the development of Islamic civilization. On the other hand, the heritage is of special importance because it is a model for the present, and is also considered a manifestation of the genius of the Islamic nation, and from that huge heritage that the Islamic nation inherited is the book Nahj al-Balagha, which contains high concepts and lofty teachings that follow the Quranic approach and the study of this heritage opens new horizons For the modern man and enable him to follow the right path.

In line with what was stated, this research aims to study the ethical principles that must be nurtured in management to achieve success and happiness, as seen by Imam Ali, and that this approach focused on descriptive and analytical research.

One of the most important results of this research is that the focus of the Imam's interest in management is the person and how to preserve human dignity, and all these teachings and ethical indicators look at him and revolve around him, and the most important indicators are: justice, patience, good morals, honesty, humility, tolerance, kindness, and others.

١. المقدمة:

نظرة الإسلام الشمولية جعلته يربط بين كل الأمور بالأخلاق والفضائل ؛ وفي حال تركها يتخلخل كل أمر، ولا ينتهي إلى النتيجة المطلوبة. وتأخذ الأخلاقيات الإسلامية مفهومًا واسعًا لا بد من ظهورها في كل التعاملات الإنسانية في المجتمع الإسلامي حتى يبلغ الإنسان عن طريقها سعادة الدارين.

ولا تكون الإدارة بمنعزل عن هذه التعاليم الأخلاقية الإسلامية. ففي العصر الراهن نشاهد أن كل إدارة ومؤسسة تضع لموظفيها منشورا أخلاقيًّا ليكون قدوة وأساسا في تعاملهم بعضهم مع بعض ومع الآخرين؛ فضلا عن أن العصر الذي نعيش فيه قد اشتهر بعصر التكنولوجيا والمعلومات، وله سمات، أهمها السرعة وكثرة المعلومات وتنافس جميع حقول المعارف البشرية واستكمال الفروع العلمية المختلفة في المجالات النظرية والتطبيقية وفتح الآفاق الجديدة المختلفة منهجا وأسلوبا؛ فلا بد من توافر العلم والميزات الخاصة لمن يتولّى إدارة قسم من الأقسام في المجتمع بمختلف أنواعه: السياسي، والاقتصادي، والاجتماعي، والثقافي وغيرها، ليكون مديرًا ناجحًا موفقًا في عمله.

ولا شك في أن الإدارة في كل هذه الأقسام تتطلب سمات خاصة لذاك القسم، ولكن لا نغفل عن الميزات والخصائص المشتركة التي لا بد للمدير والموظفين من التحلي بها ليتم النجاح له عن طريقها.

فضلا عن الاهتمام بالتراث الذي خلفه لنا الذين مضوا قبلنا، وينبغي ألا نتصور أن التراث شيء مضى وانقضى وأصبح جزءا من التاريخ، بل لا بد من عدّه مظهرا

لعبقرية الأمة الإسلامية، ولاسيما إذا كان هذا التراث يتعلق بالأئمة الأطهار (عليهم السلام)؛ وهذا هو الذي يبعث آمال الأمة ويلهم مشاعر أبنائها، والانقطاع عنهم يؤدي إلى هدم الأساس الذي تقوم عليه الحضارة الإسلامية. وفي زماننا هذا إذا أردنا أن نستعيد أمجادنا وحضارتنا ما علينا إلّا أن نتوجه إلى ما ترك هؤلاء الطيبون لنا بما يناسب وحاجات مجتمعنا الإسلامي؛ فضلا عن أن عدم الاهتمام بهذا التراث أو ضعف الاهتمام به يؤدي إلى أزمة فكرية في تربيتنا المعاصرة تتمثل في تجاهلنا لقيمته وأهميته في بناء شخصية الأمة وإعطائها الهوية الثقافية المميزة.

إذًا العودة الصحيحة والسليمة إلى الينبوع لا تكون بالعودة إلى مظاهر المجد والزهو في حضارتنا فقط، بل إلى أسباب عظمته، فالتاريخ غني لاستخلاص قوانين حركته (الراوي، ١٩٨٤م، ٢٩).

ولا يخامرنا شك في أن من أهم ما خلّفه لنا الأئمة الهداة (عليهم السلام) هو نهج البلاغة الذي جمعه الشريف الرضي (رضوان الله عليه)، وهو يجمع بين دفتيه عدة من الخطب والرسائل والكلمات القصيرة للإمام علي (عليه السلام) سيد البلغاء وإمام الفصحاء، ولذلك ينماز بالبلاغة والفصاحة، وبعبارة أخرى هو دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوق (ابن أبي الحديد، ١٩٥٩م، ١: ٢٤).

وانسياقا من هذا يستهدف هذا البحث إلى دراسة الأخلاقيات الإدارية من منظور الإمام علي (عليه السلام).

والمنهج الذي توخاه البحث هو الوصفي- التحليلي.

وأما بالنسبة إلى خلفية البحث،

فينبغي أن ننوه بأن هناك كثيرًا من الدراسات والبحوث التي أجريت حول الإمام علي (عليه السلام) ونهج البلاغة من الجوانب المختلفة المتعددة، لا يسع هذا المختصر ذكر كل هذه البحوث، وأن مرد كثرة البحوث والدراسات في نهج البلاغة هو أهمية هذا الكتاب من النواحي المختلفة وما يتضمنه من إرشادات سديدة وملاحظات قيمة؛ إذ إنَّه يُعلّم الناس النهج الصحيح للحياة، وهو امتداد للدستور القرآني.

وقد وجدنا بحثًا مختصرًا بعنوان: «من نفائس الإمام علي (عليه السلام) في علم الإدارة» في الإنترنت كتبه السيد جعفر العلوي، وهو منشور في موقع إلكتروني في صفحتين اثنتين، وقد ذكر بعض توجيهات الإمام، كالعناية بالزمن، والحزم، والعقل الجمعي، والاهتمام بالنظام، والتوجيه، والتحفيز http://www.alhodamag.com/in-dex.php/post/(612).

ولكن هذا البحث يهدف إلى دراسة الأخلاقيات الإدارية التي تساعد المدير والموظفين على النجاح والتوفيق في إدارتهم أيّ قسم من الأقسام الإدارية.

ومن أهم مصطلحات البحث هي:

نهج البلاغة: الكتاب الذي جمع فيه الشريف الرضي بأسلوب واحد روايات منتقاة من خطب ورسائل وحكم للإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، ويحتوي على ٢٤٢ خطبة وكلاما، و٧٨ رسالة وكتابا، و٤٩٨ حكمة. وقد حظي هذا الكتاب الشريف عبر القرون باهتمام بالغ من أعلام البلاغة والأدب والشرح والتعليق، وتداوله علماء أهل البيت (عليهم السلام) جيلا بعد جيل. وفي الكتاب مجموعة من الإرشادات التي تعدّ في الحقيقة

مواصلة الدستور الإلهي المنزَّل في الكتب السماوية لسلوك الإنسان في حياته الدنيوية، لتوفير سعادة الدارين والوصول إلى الكمال الذي خُلق من أجله.

الإدارة: لغة: أدار العمل، وأدار الآلة: تولّى تصريف الأمور فيهما. وأدار الرأي والأمر: أحاط بهما (المعجم الوسيط، «دور»). وكلمة إدارة أيضاً تستعمل ترجمة لكلمة Management وغالباً ما تستخدم للإدارة التنفيذية، بينما الإدارة العليا Adm وهما يدلان على أن الإدارة عملية تتم في حالة قيام جهد جماعي لتحقيق هدف أو أهداف محددة (محمد حسان وحسين العجمي، ٢٠٠٧م، ٢٧- ٢٨).

واصطلاحاً هي: جملة الوظائف أو العمليات (من تخطيط، وتنظيم، ومتابعة وتوجيه، ورقابة) التي يقوم بها المدير بغرض تحقيق أهداف المنظمة بأفضل نتيجة ممكنة (عبده فلية وعبد الفتاح الزكي، ٢٠٠٤م، ٣٠).

وهذا المصطلح بمفهومه العام قديم قدم عمر حياة الإنسان الاجتماعية، ولكن بمفهومه الخاص الذي تعرفنا عليه جديد يتعلق بالقرن العشرين. ويتبادر مفهوم الإدارة إلى الذهن كلما وُجدت منظمة بوصفها وحدة اجتماعية أو فئة متشكلة من الناس لتحقيق أهداف محددة مشتركة؛ لأن للمدير دورًا فعّالًا في كل منظمة في تفعيل الطاقات الفكرية وقوة الابتكار وتنسيق الأمور وتنظيمها للوصول إلى الأهداف المنشودة.

وثَمّ أنواع من هذا العلم، منها: «علم الإدارة التجاري» (Business administration)، و«علم الإدارة الشخصي» (Personal administra-tion)، و«علم الإدارة العامة» (ad-

ministration Public) وأنواع أخرى.

لعل اللفظ الذي استعمله الإسلام للإدارة هو «التدبير»، وقد وردت في كثير من الآيات القرآنية المباركة منها: ﴿كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ [الرعد ١٣: ٢]؛ وهذا اللفظ أي التدبير أكثر شمولًا وعمقًا؛ لأنه يشتمل على ضرورة التمعن والتفكير في الأمور والحرص على اختيار أفضل الطرق لتأدية الأعمال، أمَّا لفظ الإدارة، فهو لفظ محدود الاستعمال، ويعني التنفيذ (المطيري، ٢٠١٠م، ٥٠).

٢. الأخلاق؛ الأهمية والضرورة:

الخُلق بسكون اللام وضمها: السجية (ابن دريد، «خ ل ق»)، وقيل: الخُلق بالضم وبضمتين: السجية والطبع والمروءة والدين (الفيروز آبادي، «خ ل ق»)، وحقيقته أنه وصفٌ لصورة الإنسان الباطنة وهي نفسه وأوصافها ومعانيها المختصة بها، بمنزلة الخَلْق لصورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها، ولهما أوصاف حسنة وقبيحة (ابن منظور، «خ ل ق»).

وهناك تعاريف لمصطلح الأخلاق. الغزالي يعرف الأخلاق بأنها: «عبارة عن هيئة راسخة في النفس عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير فكر وروية، فإذا كانت الهيئة بحيث تصدر منها الأفعال الجميلة المحمودة عقلًا وشرعًا سميت تلك الهيئة خلقًا حسنًا، وإن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التي هي المصدر خلقًا سيئًا» (الغزالي، ١٣٨٧. ش، ٣: ٥٣).

فالخلق برأيه ليس هو فعل الجميل أو القبيح، ولا القدرة على الجميل أو القبيح، ولا التمييز بين الجميل والقبيح، وإنما هو الهيئة التي بها تستعد النفس لأن يصدر

عنها الأفعال، فالخلق إذًا هو عبارة عن هيئة النفس وصورتها الباطنية (إبراهيم التلوع، ١٩٩٥م، ١٤٦).

وذهب بعضهم إلى أن التنشئة الاجتماعية للإنسان تكون عن طريق التربية الاجتماعية الصحيحة والمؤسسات، كالأسرة، والمدرسة، وللمجتمع دور فعال في هذه التنشئة، وتنمية كثير من قوى الإنسان رهينة رشده وتربيته في المجتمع، وسلوكه الاجتماعي (نيك گوهر، ١٣٧٨. ش، ٥٦).

واعتقد نصير الدين الطوسي في كتابه «أخلاق ناصري» بأن التنشئة الاجتماعية هي معلول نزوع الإنسان الفطري إلى الكمال، وإذا قسمنا نشاطات الإنسان إلى قسمين: فردية واجتماعية نلاحظ أن نشاطاته الاجتماعية وتعاملاته مع الآخرين والمجموعات الاجتماعية الأخرى ستكون أكثر بكثير (١٣٥٦. ش، ٤٢).

والأخلاق الإدارية التي يمكننا درجها ضمن الأخلاق الاجتماعية هي ما يتعلق بعلاقة الإنسان مع الآخرين في المجتمع؛ لأن الإنسان هو مدني الطبع والسجية، ولابد من وجوده في المجتمع الإنساني مع سائر الناس، ومن ثمَّ عليه أن يتعامل معهم، ولذلك لا محالة أنه يتخلّق بأخلاق وسجايا خاصة له، وإذا أراد أن يكون ناجحًا في تعامله مع الآخرين فعليه أن يتحلّى بكرائم الأخلاق وفضائلها.

وتؤدي تربية الفضائل الأخلاقية دوراً مهمًّا في حياة الفرد والمجتمع، فـ«إنّ الفضائل الشخصية هي الفضائل التي تنظم حياة الفرد وتجعل ملكاته وقواه في حالة تعادل ورقي. وأمّا الفضائل الاجتماعية فهي الفضائل التي تجعل الإنسان في وفاق مع من حوله من الناس وترقي

شؤونهم» (أمين، ١٩٦٩، ١٩٨)؛ فإنَّها في مستوى حياة الفرد، تمنح الإنسان الهدوءَ والثبات والرضى بالحياة، وفي مستوى المجتمع تمنحه الأمن والقرار والصلح. «لا شك أنّه بتهذيب النفس وبمكارم الأخلاق، تعمر الديار وتزيد الأعمار، وبمكارم الأخلاق أيضاً تصلح الأمّة ويكتسب كلّ إنسان سعادته في حياته، وجميع الأحدوثة بعد وفاته» (الحسيني، ١٩٨٣، ٢٧). فعلى ذلك «كان واجباً على الإنسان أن يجعل قصده اكتساب كلّ شيمة سليمة من المعايب، وأن يبذل جهده في اجتناب كلّ خصلة مكروهة رديئة حتّى يحوز الكمال بتهذيب خلائقه، ويكتسي حلل الجمال بدماثة شمائله، ويباهي بحقّ أهل السؤدد والفخر، ويلحق بالذرى من درجات النّباهة والمجد» (ابن زكريا، ١٣٧١هـ. ش، ٤).

٣. أخلاقيات الإدارة في نهج البلاغة:

في هذا القسم من البحث سنشير إلى أهم الأخلاقيات التي وردت في نهج البلاغة وتفيد المدراء والموظفين في عصرنا الراهن، وتعد هذه الأخلاقيات أصولًا ومبادئ للإدارة بوصفها علمًا حديثًا، وهذا يعني المراجعة للتراث وإعادة ما فيه من الخير وتحديثه لاستخدامه في زماننا هذا.

من أهم الأصول الأخلاقية للإدارة الناجحة التي وردت في نهج البلاغة هي:

٣. ١. العدالة:

إنَّ أساس تعامل الإنسان مع كل الأمور وبخاصة في الإدارة هو العدالة، وهي المساواة والموازنة بين الأمور بأن يوضع كل في موضعه الذي يستحقه، وعلى كل مسلم أن يؤمن بهذا الأمر ويهتم به، ولذلك جاء الأمر الإلهي بالعدل ليكون أساس العمل في المجتمع والحجر

الأساس في بنائه. قال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل ١٦: ٩٠].

والعدل هو الغاية الكبرى في إرسال الرسل: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ [الحديد ٥٧: ٢٥].

وفي القرآن أكد الله تعالى إقامة العدل والتزام القسط من دون تأثر بالميول الشخصية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة ٥: ٨].

وفي القرآن الكريم نجد توجيهًا رائعًا بل أمرًا ودستورًا حازمًا في اعتماد العدل في الصلح بين المتخاصمين، لكي لا يكون النزاع وسيلة لفرض القوة، بل لا بد من أن يكون العدل هو الأساس في دخول المجتمع لحل النزاع حتى يرجع الحق إلى أهله: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات ٤٩: ٩- ١٠].

وعلى كل شخص أن يراعي موازين القسط واحترام حقوق الناس وأن يعمل على محاربة الفساد والتزام بالقوانين والتشريعات التي تحفظ العدالة: ﴿وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ

مُفْسِدِينَ﴾ [هود ١١: ٨٥].

إنّ العدل بمفهومه الواسع يشمل حقوق الله على الإنسان وحقوق أبناء الإنسان على الإنسان وحق الإنسان على نفسه وحق أعضاء الإنسان وجوارحه على نفسه، أي يكون مفهوم العدل في هذه الحالة معادلاً لجميع القيم الإيجابية تقريبًا. ولكن ما يتعلق بعدالة المدراء فهو يدخل ضمن العدل الاجتماعي أو الاهتمام بحقوق أبناء الإنسان على الإنسان.

قال الإمام علي (عليه السلام) لزياد بن أبيه - وقد استخلفه لعبد الله بن العباس على فارس وأعمالها في كلام طويل كان بينهما نهاه فيه عن تقدم الخراج- قال: «اسْتَعْمِلِ الْعَدْلَ وَاحْذَرِ الْعَسْفَ وَالْحَيْفَ فَإِنَّ الْعَسْفَ يَعُودُ بِالْجَلَاءِ وَالْحَيْفَ يَدْعُو إِلَى السَّيْفِ» (نهج البلاغة، ك ٤٧٦). جعل الإمام (عليه السلام) هنا العدل مقابل العسف والحيف، وذكر أن كلًّا منهما يؤدي إلى عاقبة سيئة، وأن العسف يسبب جلاء الناس وتركهم البلد والهجرة والحيف يؤدي إلى الثورة؛ وذلك لأن العدل في رأي الإمام (عليه السلام): «يَضَعُ الْأُمُورَ مَوَاضِعَهَا.. وَالْعَدْلُ سَائِسٌ عَامٌّ» (نهج البلاغة، ك ٤٣٧). والعدالة هي التي تحفظ المجتمع وتسعده في حين أن الظلم الاجتماعي يمزق المجتمع ويشققه.

وكذلك لا حق للمدير أن يعطي أقاربه أو معارفه أو أتباعه الامتيازات ويهبهم العطاءات من غير دواعٍ سوى الأثرة والتمييز، وبما أن كل ذلك من نصيب الحق العام فيجب إرجاعه إلى بيت المال للمسلمين وعلى الناس ألّا يغفلوا عنه أو يتهاونوا فيه أو يتركوه. قال الإمام (عليه السلام) موصيًا مالك: «ثُمَّ إِنَّ لِلْوَالِي خَاصَّةً وَبِطَانَةً فِيهِمُ اسْتِئْثَارٌ وَتَطَاوُلٌ وَقِلَّةُ إِنْصَافٍ فِي مُعَامَلَةٍ

فَاحْسِمْ مَادَّةَ أُولَئِكَ بِقَطْعِ أَسْبَابِ تِلْكَ الْأَحْوَالِ وَلَا تُقْطِعَنَّ لِأَحَدٍ مِنْ حَاشِيَتِكَ وَحَامَّتِكَ قَطِيعَةً وَلَا يَطْمَعَنَّ مِنْكَ فِي اعْتِقَادِ عُقْدَةٍ تَضُرُّ بِمَنْ يَلِيهَا مِنَ النَّاسِ فِي شِرْبٍ أَوْ عَمَلٍ مُشْتَرَكٍ يَحْمِلُونَ مَئُونَتَهُ عَلَى غَيْرِهِمْ فَيَكُونَ مَهْنَأُ ذَلِكَ لَهُمْ دُونَكَ وَعَيْبُهُ عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ» (نهج البلاغة، ر ٥٣).

ومن مظاهر إجراء العدالة الاجتماعية في حكومة الإمام (عليه السلام) عمليًّا استرجاعه الحقوق المسلوبة إلى الجهات التي أخذت منها، وقال (عليه السلام) فيما ردّه على المسلمين من قطائع عثمان: «وَاللهِ لَوْ وَجَدْتُهُ قَدْ تُزُوِّجَ بِهِ النِّسَاءُ وَمُلِكَ بِهِ الْإِمَاءُ لَرَدَدْتُهُ فَإِنَّ فِي الْعَدْلِ سَعَةً وَمَنْ ضَاقَ عَلَيْهِ الْعَدْلُ فَالْجَوْرُ عَلَيْهِ أَضْيَقُ» (نهج البلاغة، ك ١٥). «لأنَّه مَن عجز عن تدبير أمره بالعدل فهو عن التدبير بالجور والظلم أعجز؛ لأن الجور مظنة أن يقاومه أحد أو يعترض عليه وهذا غير حاصل في العدل، لهذا فالعمل بالعدل أوسع وأكثر أمانا واطمئنانًا»[١١٨].

كما أننا نلاحظ في سيرة الإمام (عليه السلام) أن أخاه وشقيقه عقيل بن أبي طالب جاء يطلب زيادة في عطائه على سائر الناس، فرفض الإمام، وحينما ألحَّ عقيل في طلبه صرَّح له الإمام بإصراره على العدالة بطريقة عملية، يتحدَّث عنها (عليه السلام) فيقول: «وَاللهِ لَقَدْ رَأَيْتُ عَقِيلاً وَقَدْ أَمْلَقَ، حَتَّى اسْتَمَاحَنِي مِنْ بُرِّكُمْ صَاعاً، وَرَأَيْتُ صِبْيَانَهُ شُعْثَ الشُّعُورِ، غُبْرَ الْأَلْوَانِ، مِنْ فَقْرِهِمْ، كَأَنَّمَا سُوِّدَتْ وُجُوهُهُمْ بِالْعِظْلِمِ، وَعَاوَدَنِي مُؤَكِّداً، وَكَرَّرَ عَلَيَّ الْقَوْلَ مُرَدِّداً، فَأَصْغَيْتُ إِلَيْهِ سَمْعِي، فَظَنَّ أَنِّي أَبِيعُهُ دِينِي، وَأَتَّبِعُ قِيَادَهُ مُفَارِقاً طَرِيقَتِي فَأَحْمَيْتُ لَهُ حَدِيدَةً، ثُمَّ أَدْنَيْتُهَا مِنْ جِسْمِهِ لِيَعْتَبِرَ بِهَا فَضَجَّ

ضَجِيجَ ذِي دَنَفٍ مِنْ أَلَمِهَا، وَكَادَ أَنْ يَحْتَرِقَ مِنْ مَيْسَمِهَا، فَقُلْتُ لَهُ: ثَكَلَتْكَ الثَّوَاكِلُ يَا عَقِيلُ! أَتَئِنُّ مِنْ حَدِيدَةٍ أَحْمَاهَا إِنْسَانُهَا لِلَعِبِهِ، وَتَجُرُّنِي إِلَى نَارٍ سَجَرَهَا جَبَّارُهَا لِغَضَبِهِ! أَتَئِنُّ مِنَ الأَذَى وَلا أَئِنُّ مِن لَظَىً»! (نهج البلاغة، ك ٢٢٤).

ويرى الإمام (عليه السلام) أنه إذا وُجدت في المجتمع الحاجة والحرمان والفقر؛ فوجودها يدل على عدم الاهتمام بالعدالة الاجتماعية. إذ فرض الله على القادرين على العمل والحائزين على ثروات الكون أن يعطوا الفقير العاجز ما يسدُّ حاجته ويدفع الحرمان عنه، يقول تعالى: ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ [الذاريات ٥١: ١٩]، فإذا امتنع الأثرياء عن إعطاء الفقراء حاجتهم ومعيشتهم، فهذا ظلم واعتداء لا يرضى به الله ولا تقبله شريعة العدالة. قال الإمام علي (عليه السلام): «إِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ فَرَضَ فِي أَمْوَالِ الْأَغْنِيَاءِ أَقْوَاتَ الْفُقَرَاءِ فَمَا جَاعَ فَقِيرٌ إِلَّا بِمَا مُتِّعَ بِهِ غَنِيٌّ وَاللهُ تَعَالَى سَائِلُهُمْ عَنْ ذَلِكَ» (نهج البلاغة، ح ٣٢٨).

٣. ٢. الكفاءة والصلاحية:

إذا لم يهتم المدير بجدارة عماله وصلاحيتهم فهذا الأمر الذي منشأه الظُّلم الاجتماعي، يسبّب وصول غير المؤهّلين لمراكز السّيادة، فيتلاعبون حينئذٍ بكرامة النّاس وحقوقهم، بينما ينسحب أصحاب الكفاءة لعدم إتاحة المجال لهم لممارسة كفاءتهم، فيُحرم المجتمع من خبراتهم وخدماتهم. وهذا أمر خطير على المجتمع؛ لأن المجال والامتيازات تتاح لفئة دون أخرى على حجم علاقتهم بجهاز الحكم أو قرابتهم من شخص الحاكم أو المدير.

ويجب ألّا نغفل عن هذا الموضوع

أن الجدارة والصلاحية والكفاءة من السمات البارزة للمدير، وعليه كذلك أن يهتم بهما في اختيار من يريد أن يعمل عنده ويهتم بقدراته، وأخلاقه، ومعتقداته، وسمات شخصيته، ورؤاه، ومهاراته (أبطحي، ١٣٨٧، ٥٦).

ومن أهم معايير اختيار العاملين ذوي الكفاءة والصلاحية للعمل من منظور الإمام علي (عليه السلام) هي: التقوى، حسن السابقة، الأمانة، الخلق الحسن، عدم استغلال بيت المال للمصالح الشخصية، الصدق، الصبر، الحزم، وغيرها، قال (عليه السلام): «ثُمَّ انْظُرْ فِي أُمُورِ عُمَّالِكَ فَاسْتَعْمِلْهُمُ اخْتِبَاراً وَلَا تُوَلِّهِمْ مُحَابَاةً وَ أَثَرَةً فَإِنَّهُمَا جِمَاعٌ مِنْ شُعَبِ الْجَوْرِ وَالْخِيَانَةِ وَ تَوَخَّ مِنْهُمْ أَهْلَ التَّجْرِبَةِ وَالْحَيَاءِ مِنْ أَهْلِ الْبُيُوتَاتِ الصَّالِحَةِ وَالْقَدَمِ فِي الْإِسْلَامِ الْمُتَقَدِّمَةِ فَإِنَّهُمْ أَكْرَمُ أَخْلَاقاً وَأَصَحُّ أَعْرَاضاً وَأَقَلُّ فِي الْمَطَامِعِ إِشْرَاقاً وَأَبْلَغُ فِي عَوَاقِبِ الْأُمُورِ نَظَراً» (نهج البلاغة، ر ٥٣).

كما أن الإمام على (عليه السلام) قد أصرّ على عزل الولاة السّابقين، ومن بينهم معاوية بن أبي سفيان والي الشّام القوي، ورفض أن يمنح طلحة والزبير ما يطمحان إليه من منصب لعدم كفاءتهما وجدارتهما.

ولعل من أفضل الطرق لتعيين صلاحية الأشخاص للبقاء في العمل أو عزلهم عنه هو الاختبار، ومن أهم هذه الاختبارات هي:

- اختبار الكفاءة الدراسية (Scholastic Aptitude Test) وهو الاختبار الذي يتم للقبول الموحد للكلية في الجامعات والأنظمة، ويهدف إلى اختبار جودة التعلم.

- اختبار الإنجاز (Achievment Test)، ويتم هذا الاختبار لتعيين علم العاملين ومعلوماتهم.

- اختبار الأهلية (Aptitude Test)،

وذلك لاختبار قدرات العاملين ومؤهلاتهم الجسدية والنفسية.

٣. ٣. النظم:

تنظر نظرة النّظم (System View) إلى عمليات الأعمال، كنظم موجود في موقف بيئي أكبر، ويمثل هذا طريقة تجريدية للتفكير، إلّا أن له قيمة ممكنة للمدير. وتقوم نظرة النظم: بمنع المدير من الضياع في تعقيد الهيكل التنظيمي وتفاصيل العمل، وإدراك ضرورة وجود أهداف جيدة، والتركيز على أهمية عمل كل أجزاء المنظمة مع بعضها بعضاً، والتعرّف على تداخلات المنظمة (ربابعة، ٢٠٠٣م، ٢٨).

ولأهمية هذا الموضوع (النظم) نلاحظ أن الإمام (عليه السلام) يوصي عباد الله بعد تقوى الله إلى النظم في الأمور: «أُوصِيكُمَا وَجَمِيعَ وَلَدِي وَأَهْلِي وَمَنْ بَلَغَهُ كِتَابِي بِتَقْوَى اللَّهِ وَنَظْمِ أَمْرِكُمْ» (نهج البلاغة، ر٤٧).

والنظم في الأمور يجعل المدير أن يخطط بصورة صحيحة ليسهل الطريق إلى الأهداف المنشودة للمجموعة، ولذلك يحذر من العجلة في الأمور، لأن الأمور إذا نظمت لا يحتاج المدير/ المنظّم إلى العجلة: «وَإِيَّاكَ وَ الْعَجَلَةَ بِالْأُمُورِ قَبْلَ أَوَانِهَا أَوِ التَّسَقُّطَ فِيهَا عِنْدَ إِمْكَانِهَا أَوِ اللَّجَاجَةَ فِيهَا إِذَا تَنَكَّرَتْ أَوِ الْوَهْنَ عَنْهَا إِذَا اسْتَوْضَحَتْ فَضَعْ كُلَّ أَمْرٍ مَوْضِعَهُ وَ أَوْقِعْ كُلَّ أَمْرٍ مَوْقِعَهُ» (نهج البلاغة، ر٥٣).

ومن أهم مظاهر النظم في الإدارة هو الالتزام بأوقات العمل والمحافظة عليها؛ إذ يجب على كل مسؤول احترام المواعيد، وعدم التغيب عن العمل، وعدم الانشغال بأمور لمصالح شخصية.

لأننا لو تأملنا بعمق لوجدنا أن النظم في الأمور يدعم تخطيط البرامج، وتنفيذها، والرقابة عليها

ويساعد على جمع المعلومات بسرعة أكثر، كما أنه يوفر فرصة التعرف على المشاكل التي تقابل المجموعة، ومن ثم المساهمة في حلّها.

٣. ٤. التطور الدائم والاتجاه الإصلاحي:

إن المدير المدبّر الذي يفكر في الأمور متحلّيًا بالصفات الحسنة التي أشرنا إليها آنفا لا يخون المسؤولية التي قبلها، ويحاول أن يكون الحال أفضل من الماضي ويكون المستقبل أفضل بكثير من الحال، ولذلك يخطط دائما للمستقبل، ويعطي العمال برامجه ويستغل مواهبه، ويتخذ الخطوط العريضة ويجعل نفسه والعمال يخطون خطوات مستمرة نحو الأهداف المنشودة؛ وبخاصة في هذا العصر الذي أصبح التطور جزءًا أساسيًّا منه، وعلى المدير أن يتابع تطور فنون الإدارة، وهذا المضمون ورد في كلام الإمام المعصوم (عليه السلام)؛ إذ قال: «مَنِ اسْتَوَى يَوْمَاهُ فَهُوَ مَغْبُونٌ» (المجلسي، ١٤٠٣هـ، ٧٨: ٣٢٦). فمن هذا المنطلق المدراء والقادة في مختلف الأقسام يجب أن يبادروا ويتصدوا للإصلاح والتغييرات للتقدم والتطور، ويفكروا في إنتاج الثقافة الداعمة لتوجهات الإصلاح؛ لأنه لا يتم الإصلاح إلّا إذا كانت له داعمة ثقافية متطورة، كيلا تذهب ثروات الأمة من الطاقات الإنسانية، وتذهب الثروات الطبيعية هدرا، لذلك فلا بد من التشجيع لثقافة الانفتاح والوعي بمتطلبات الزمن وإتاحة الحريات للتعبير عن الرأي على مستوياتها المختلفة، وكذلك على الناس أن يساعدوا المدراء والقادة، وأن يتفاعلوا معهم تفاعلًا إيجابيًّا.

وعلى المدراء أن يتأسوا بالإمام علي (عليه السلام) في قضية

الإصلاح؛ إذ بادر بإصلاح المجتمع باتخاذه نهجًا تربويًّا لينفذ برامج الإصلاح. وكما أشرنا آنفا بادر بعزل الولاة غير الصالحين، واسترد أموال بيت المال من الأيدي التي حازت عليها عن طرق غير مشروعة، وردَّ على المعترضين بقوله هذا: «وَاللهِ لَوْ وَجَدْتُهُ قَدْ تُزُوِّجَ بِهِ النِّسَاءُ وَمُلِكَ بِهِ الْإِمَاءُ لَرَدَدْتُهُ فَإِنَّ فِي الْعَدْلِ سَعَةً وَمَنْ ضَاقَ عَلَيْهِ الْعَدْلُ فَالْجَوْرُ عَلَيْهِ أَضْيَقُ» (نهج البلاغة، ك ١٥). وأصرَّ على نهجه في العدالة مواجهًا تيارات الفساد والانحراف.. وقال لما عوتب على التسوية في العطاء: «أَتَأْمُرُونِّي أَنْ أَطْلُبَ النَّصْرَ بِالْجَوْرِ فِيمَنْ وُلِّيتُ عَلَيْهِ وَاللهِ لَا أَطُورُ بِهِ مَا سَمَرَ سَمِيرٌ وَمَا أَمَّ نَجْمٌ فِي السَّمَاءِ نَجْماً لَوْ كَانَ الْمَالُ لِي لَسَوَّيْتُ بَيْنَهُمْ فَكَيْفَ وَإِنَّمَا الْمَالُ مَالُ اللهِ» (نهج البلاغة، ك ١٢٦).

ومن أجل تحقق هذا الإصلاح خاض حروبا عدة حتى قضى على الفتنة، وقال (عليه السلام): «أَيُّهَا النَّاسُ فَإِنِّي فَقَأْتُ عَيْنَ الْفِتْنَةِ وَلَمْ يَكُنْ لِيَجْتَرِئَ عَلَيْهَا أَحَدٌ غَيْرِي بَعْدَ أَنْ مَاجَ غَيْهَبُهَا وَاشْتَدَّ كَلَبُهَا» (نهج البلاغة، خ ٩٣) ومن هنا قدَّم للأمة خيرَ تجربة في ممارسة الإصلاح.

٣. ٥. الاستقامة والصبر والحلم:

إن الصبر ضرورة دينية وضرورة حياتية، كما أنه ضرورة إنسانية، ولا يمكن أن ينتصر الدين ويتحقق النصر للمسلمين من دونه، ولا يمكن أن توجد سعادة في الدنيا والآخرة بغيره، والقائم به له الأجر والجزاء الحسن عند الله بغير حساب. فالصبر هو حبس النفس على ما تكره، ابتغاء مرضاة الله، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾ [الرعد ١٣: ٢٢]، وما تكرهه النفس أنواع وألوان شتى، ولهذا تتَّسع دائرة الصبر فتشمل

مجالات رحبة أكثر مما يقف عنده عادة كثير من الناس إذا ذكرت كلمة «الصبر». وترجع عناية القرآن البالغة بالصبر إلى ما له من قيمة كبيرة دينية وخلقية، فليس هو من الفضائل الثانوية أو المكمِّلة، بل هو ضرورة لازمة للإنسان ليرقى ماديًّا ومعنويًّا، ويسعد فرديًّا واجتماعيًّا، فلا ينتصر دين ولا تنهض دنيا إلّا بالصبر. وقد بيَّن الله تعالى ما ينتظر الناس من ألوان البلاء، مؤكدا ذلك بلام القسم ونون التوكيد؛ إذ يقول: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة ٢: ١٥٥]. والله يعلّمنا أن الصبر هو فضل من الله عز وجل: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللهِ﴾ [النحل ١٦: ١٢٧].

وأما لفظ الاستقامة، فيقال في الطريق الذي يكون على خط مستو، وبه شبه طريق الحق، قال تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة ١: ٦] واستقامة الإنسان: لزومه المنهج المستقيم. ولفظ (الاستقامة) ورد في القرآن الكريم على أربعة معان، هي:

الأول: بمعنى الثبات والدوام على الدعوة إلى الدين، من ذلك قوله تعالى: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾ [هود ١١: ١١٢].

الثاني: بمعنى الثبات على التوحيد، وعلى هذا قوله سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ [فصلت٤١ :٣٠].

الثالث: الثبات على طاعة الله والتزام أحكامه، وعلى ذلك قوله سبحانه: ﴿وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾ [الجن ٧٢: ١٦].

الرابع: بمعنى الوفاء بالعهد والثبات عليه، وذلك قوله سبحانه:

﴿فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ﴾ [التوبة: ٧].

وممَّا يلزم للمدير من صفات ليتحلى بها كي يسلك طريق النجاح هو الصبر وسعة الصدر والاستقامة للوصول إلى الغايات.

وعدَّ الإمام علي (عليه السلام) الصبر آلة الرياسة: «آلَةُ الرِّيَاسَةِ سَعَةُ الصَّدْرِ» (نهج البلاغة، ح ١٧٦).

ويرى أن الصبور يقاوم في عمله حتى يجد النجاح: «لَا يَعْدَمُ الصَّبُورُ الظَّفَرَ وَإِنْ طَالَ بِهِ الزَّمَانُ» (نهج البلاغة، ح ١٥٣).

كما يعدّه أحد الدعائم الأربع للإيمان: «الْإِيمَانُ عَلَى أَرْبَعِ دَعَائِمَ عَلَى الصَّبْرِ وَالْيَقِينِ وَالْعَدْلِ وَالْجِهَادِ» (ح ٣١).

غير أن ثمة ملاحظة مهمة ينبغي التوقف عندها هنا وهي أن صبر المدير وسعة صدره تجعله يحافظ على العاملين عنده ويستر عيوبهم، ولذلك أوصى الإمام (عليه السلام) مالك الأشتر (رضوان الله عليه) قائلا: «وَلْيَكُنْ أَبْعَدَ رَعِيَّتِكَ مِنْكَ وَ أَشْنَأَهُمْ عِنْدَكَ أَطْلَبُهُمْ لِمَعَايِبِ النَّاسِ فَإِنَّ فِي النَّاسِ عُيُوباً الْوَالِي أَحَقُّ مَنْ سَتَرَهَا فَلَا تَكْشِفَنَّ عَمَّا غَابَ عَنْكَ مِنْهَا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ تَطْهِيرُ مَا ظَهَرَ لَكَ وَاللَّهُ يَحْكُمُ عَلَى مَا غَابَ عَنْكَ فَاسْتُرِ الْعَوْرَةَ مَا اسْتَطَعْتَ يَسْتُرِ اللَّهُ مِنْكَ مَا تُحِبُّ سَتْرَهُ مِنْ رَعِيَّتِكَ» (نهج البلاغة، ر ٥٣).

٣. ٦. التواضع:

إذا عدنا إلى تعريف الإدارة الذي يرى معنى الكلمة اللغوي (Admin-ister) تعني الخدمة كما ورد في حديث عن النبي (صلى الله عليه وآله): «سَيِّدُ اَلْقَوْمِ خَادِمُهُمْ» (الطبرسي، ١٩٧٢م، ١: ٢٥١)، فلا يبقى مجال للتكبر والغرور والفخر والعُجب، بل على المدير أن يتحلّى بصفة التواضع؛ لأنه يريد أن يخدم الناس

والعاملين لديه. ومن منظور نهج البلاغة ليس للإدارة قيمة إلّا أن تخدم الناس، كما نلاحظ في سيرة الإمام (عليه السلام) أنه قد قبل الخلافة؛ لأن الحجة قد تمت عليه بحضور الناس وطلبهم إياه لقبول الخلافة، ونلاحظ أن الإمام (عليه السلام) يفضل نعله على الإمارة على الناس: «وَاللهِ لَهِيَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ إِمْرَتِكُمْ إِلَّا أَنْ أُقِيمَ حَقّاً أَوْ أَدْفَعَ بَاطِلًا» (نهج البلاغة، خ ٣٣).

فالتواضع هو فضيلة أخلاقية عقلية، و«يرتبط بثلاث فضائل هي: صدق الإنسان مع نفسه، إنه مصاحب للعدل، الشجاعة في كل لحظة. والتواضع يستبعد الحسد الناجم عن مقارنة الذات بالآخرين ويشجع على الرضا بالميسور والتعاون المتبادل بين الناس» (بدوي، ١٩٧٦ م، ٢١٤).

لقد كتب الإمام علي (عليه السلام) إلى محمد بن أبي بكر عندما قلّده على مصر موصيًا إياه بالتواضع حتى لا يخشاه الضعيف ويتمكن من الرجوع إليه والتحدث معه: «فَاخْفِضْ لَهُمْ جَنَاحَكَ وَأَلِنْ لَهُمْ جَانِبَكَ وَابْسُطْ لَهُمْ وَجْهَكَ وَآسِ بَيْنَهُمْ فِي اللَّحْظَةِ وَالنَّظْرَةِ حَتَّى لَا يَطْمَعَ الْعُظَمَاءُ فِي حَيْفِكَ لَهُمْ وَلَا يَيْأَسَ الضُّعَفَاءُ مِنْ عَدْلِكَ» (نهج البلاغة، ر ٢٧).

٣. ٧. حفظ الكرامة الإنسانية:

يجب أن يكون العمل في الأوساط الاجتماعية وكل مجالاتها قائمًا على أساس احترام الإنسان وإكرامه كما أراد الله تعالى، الذي قال: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء ١٧: ٧٠]. ومن ثم احترام حقوقه ومساعدته للنهوض بواجباته على أساس القانون الذي يحمي

الجميع ويحاسبهم بمعيار واحد.

يؤكد الإسلام دائما على احترام حقوق الإنسان خليفة الله في أرضه الذي سخّر له السموات والأرض وأن تكون خدمة الناس ورفعة الإنسان ورفاهيته ومحور التشريعات والخدمات في المجتمع ورعاية حقوقه المتفق عليها، وضمان حرية الرأي وحق النقد المسؤول دون استثناء لشخص أو جهة.

يؤكد القرآن على حسن التعامل مع الآخرين ولاسيما اليتامى بما يصلح حالهم وينفعهم في مستقبلهم: ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة ٢: ٢٢٠].

لعل أهم ما ورد في نهج البلاغة ويدل على حفظ الكرامة الإنسانية ذلك الكلام الشهير للإمام (عليه السلام)؛ إذ قال في كتابه إلى مالك: «فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ وَإِمَّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ» (نهج الباغة، ك ٥٣).

ومن الصفات الحسنة التي يجب على الإنسان أن يتحلّى بها وهي تفيده في حفظ تلك الكرامة المذكورة هي:

- كظم الغيظ: قد وجه الله تعالى عباده المؤمنين على ضرورة التحلي بالصبر وكظم الغيظ، بل والدفع بالتي هي أحسن، نجد قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت ٤١: ٣٤]، وقال عز وجل أيضا: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران ٣: ١٣٤]. وأكد الإمام

علي (عليه السلام) في تعاليمه على الابتعاد عن الغضب، ومنها ما كتبه إلى مالك ونصحه في اختيار الجيش: «فَوَلِّ مِنْ جُنُودِكَ أَنْصَحَهُمْ فِي نَفْسِكَ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِإِمَامِكَ وَأَنْقَاهُمْ جَيْباً وَأَفْضَلَهُمْ حِلْماً مِمَّنْ يُبْطِئُ عَنِ الْغَضَبِ وَيَسْتَرِيحُ إِلَى الْعُذْرِ» (نهج البلاغة، ك ٥٣).

- اجتناب التفاخر: ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا﴾ [الكهف ١٨: ٣٢- ٣٥].

وقد قال الإمام في خطبته في صفين: «وَإِنَّ مِنْ أَسْخَفِ حَالَاتِ الْوُلَاةِ عِنْدَ صَالِحِ النَّاسِ أَنْ يُظَنَّ بِهِمْ حُبُّ الْفَخْرِ وَيُوضَعَ أَمْرُهُمْ عَلَى الْكِبْرِ وَقَدْ كَرِهْتُ أَنْ يَكُونَ جَالَ فِي ظَنِّكُمْ أَنِّي أُحِبُّ الْإِطْرَاءَ وَاسْتِمَاعَ الثَّنَاءِ» (نهج البالغة، خ ٢١٦).

- اجتناب الكبر والعجب: من وصايا لقمان لابنه هو اجتناب العجب والكبر؛ إذ قال الله تعالى على لسانه: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان ٣١: ١٨]، فقد ذمَّ الله الكبر في مواضع من كتابه وذمَّ كل جبار متكبر، فقال تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [الأعراف ٧: ١٤٦]، وقال عز وجل: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر ٤٠: ٣٥]، وقال تعالى: ﴿وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [إبراهيم ١٤: ١٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ [النحل ١٦: ٢٣].

أكد الإمام علي (عليه السلام) هذا الأمر أكثر من مرة، وعرَّف المتكبّر الأول الشيطان الذي منعه كبره أن يطيع الله ويسجد على آدم: «وَلَا تَكُونُوا كَالْمُتَكَبِّرِ عَلَى ابْنِ أُمِّهِ مِنْ غَيْرِ مَا فَضْلٍ جَعَلَهُ اللهُ فِيهِ سِوَى مَا أَلْحَقَتِ الْعَظَمَةُ بِنَفْسِهِ مِنْ عَدَاوَةِ الْحَسَدِ وَقَدَحَتِ الْحَمِيَّةُ فِي قَلْبِهِ مِنْ نَارِ الْغَضَبِ وَنَفَخَ الشَّيْطَانُ فِي أَنْفِهِ مِنْ رِيحِ الْكِبْرِ الَّذِي أَعْقَبَهُ اللهُ بِهِ النَّدَامَةَ وَأَلْزَمَهُ آثَامَ الْقَاتِلِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» (نهج البلاغة، خ ١٩٢). ويقول بعد أن يدعو الناس أن يعتبروا بالماضي وبما جرى على المتكبرين: «اسْتَعِيذُوا بِاللهِ مِنْ لَوَاقِحِ الْكِبْرِ كَمَا تَسْتَعِيذُونَهُ مِنْ طَوَارِقِ الدَّهْرِ فَلَوْ رَخَّصَ اللهُ فِي الْكِبْرِ لِأَحَدٍ مِنْ عِبَادِهِ لَرَخَّصَ فِيهِ لِخَاصَّةِ أَنْبِيَائِهِ وَأَوْلِيَائِهِ وَلَكِنَّهُ سُبْحَانَهُ كَرَّهَ إِلَيْهِمُ التَّكَابُرَ وَرَضِيَ لَهُمُ التَّوَاضُعَ» (نهج البلاغة، خ ١٩٢).

ويحذر من طاعة الكبراء: «أَلَا فَالْحَذَرَ الْحَذَرَ مِنْ طَاعَةِ سَادَاتِكُمْ وَكُبَرَائِكُمُ الَّذِينَ تَكَبَّرُوا عَنْ حَسَبِهِمْ وَتَرَفَّعُوا فَوْقَ نَسَبِهِمْ وَأَلْقَوُا الْهُجِينَةَ عَلَى رَبِّهِمْ وَجَاحَدُوا اللهَ عَلَى مَا صَنَعَ بِهِمْ مُكَابَرَةً لِقَضَائِهِ وَمُغَالَبَةً لِآلَائِهِ» (نهج البلاغة، خ ١٩٢).

ويصف الكبر مصيدة الشيطان الكبرى قائلًا: «فَاللهَ اللهَ فِي عَاجِلِ الْبَغْيِ وَآجِلِ وَخَامَةِ الظُّلْمِ وَسُوءِ عَاقِبَةِ الْكِبْرِ فَإِنَّهَا مَصْيَدَةُ إِبْلِيسَ الْعُظْمَى وَمَكِيدَتُهُ الْكُبْرَى الَّتِي تُسَاوِرُ قُلُوبَ الرِّجَالِ مُسَاوَرَةَ السُّمُومِ الْقَاتِلَةِ» (نهج البلاغة، خ ١٩٢).

- الخلق الحسن: الخلق الحسن من أعظم روابط الإيمان وأعلى درجاته، ووصف الله تعالى نبيه الكريم في كتابه بخلقه العظيم قائلا: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم ٦٨: ٤].

قال الإمام علي (عليه السلام)

موصيًا ابنه: «أَكْرَمَ الْحَسَبِ حُسْنُ الْخُلُقِ» (نهج البلاغة، ح ٣٨). وقال في موضع آخر: «وَلَا قَرِينَ كَحُسْنِ الْخُلُقِ» (نهج البلاغة، ح١١٣).

٣. ٨. مراقبة النفس الإنسانية:

ذكرنا هذا الأمر المهم في خاتمة بحثنا؛ لأن كثيرًا من الصفات الحسنة والفضائل التي ذكرناها سابقا تتمظهر في ظل المراقبة على النفس الإنسانية. واللافت أن تأكيد الإمام علي المراقبة النفسية (الداخلية) أكثر بكثير من المراقبة الخارجية، وهي أن كل شخص يبرمج لنفسه برنامجًا يجعله يميل إلى عمله بشكل صحيح دون أن يراقبه عامل خارجي، وهذه الحالة لن تحصل في الإنسان إلّا بأن يقوي نفسه ويذكرها دائما بأن الله خبير، وفي بحثنا عن المراقبة الداخلية في نهج البلاغة حصلنا على إشارات قيّمة وتوجيهات سديدة منها:

أن الإمام (عليه السلام) يرى أن هناك موانع للمراقبة النفسية، ومنها:

• اتباع الهوى: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ اثْنَانِ اتِّبَاعُ الْهَوَى وَطُولُ الْأَمَلِ فَأَمَّا اتِّبَاعُ الْهَوَى فَيَصُدُّ عَنِ الْحَقِّ وَأَمَّا طُولُ الْأَمَلِ فَيُنْسِي الْآخِرَةَ» (نهج البلاغة، خ ٤٢).

• الغرور والكبر: وذلك لأنهما يجعلان الإنسان يقيم لنفسه وزنًا كبيرًا وكأنه قد عمي ولا يرى الحقيقة، ويظن أنه سعيد في الدنيا والآخرة.. قال الإمام (عليه السلام) مبيّنًا قبح الغرور: «إِيَّاكَ وَمُسَامَاةَ اللهِ فِي عَظَمَتِهِ وَالتَّشَبُّهَ بِهِ فِي جَبَرُوتِهِ فَإِنَّ اللهَ يُذِلُّ كُلَّ جَبَّارٍ وَيُهِينُ كُلَّ مُخْتَالٍ» (نهج البلاغة، ر ٥٣).

• الحرص والطمع: قال الإمام (عليه السلام): «يَا أَسْرَى الرَّغْبَةِ أَقْصِرُوا فَإِنَّ الْمُعَرِّجَ عَلَى الدُّنْيَا لَا يَرُوعُهُ مِنْهَا إِلَّا صَرِيفُ أَنْيَابِ الْحِدْثَانِ أَيُّهَا النَّاسُ تَوَلَّوْا مِنْ أَنْفُسِكُمْ تَأْدِيبَهَا

وَاعْدِلُوا بِهَا عَنْ ضَرَاوَةِ عَادَاتِهَا» (نهج البلاغة، ح ٣٥٩).

نلاحظ أن الإمام (عليه السلام) قد وضع هذا المهم في بؤرة التركيز والاهتمام لكي تكون نقطة انطلاق للإدارة الناجحة؛ إذ إن المراقبة النفسية تضطلع بدور مهم في توفيق المجتمع الذي يتكون من أفراد، وإذا اهتم كل فرد بنفسه ومنعها عن الهوى واتبع طريق الحق ولم ينحرف عن جادة الصواب.. فإن المجتمع سيصبح مثاليًّا، وتقوده الفضائل الأخلاقية ومكارمها.

الخاتمة والنتائج

موجز ما توصل البحث إليه في دراسته الأخلاقيات الإدارية في نهج البلاغة هو:

- نظرة الإمام علي (عليه السلام) إلى قضية الأخلاق في الإدارة نظرة شمولية هادفة تدعو إلى الالتزام بالشعائر الدينية التي لها دور كبير في تزكية السلوك وتهذيبه.

- نهج البلاغة يضم بين دفتيه أهم المبادئ والأصول للأخلاق الإدارية، وأهمها الإحساس بالمسؤولية أمام الآخرين ومحاولة إيقاظ الضمير بالنسبة إلى العمل الذي يقبل الشخص أن يؤديه.

- سيرة الإمام (عليه السلام) وأقواله ورسائله الموجهة إلى ولاته محذرًا إياهم من الظلم والعدوان تدلنا على رفضه (عليه السلام) كل الأوضاع الجائرة أو الحائدة عن منهج الله، وعتابه للذين يتهاونون في مواجهة الانحراف والظلم.

- الإدارة الناجحة هي أساس تقدم المجتمع وتطوره، كما أن الإسلام قد طرح موضوع الإدارة في مجتمع مضطرب بعيد عن هذا المفهوم، ولكنه استطاع أن يجعله يتطور ويقدم الأفكار

العاليـة في مختلـف الفـروع العلميـة إلـى عـالم الإنسـانية.

- أهـم المبـادي الأخلاقيـة في الإدارة مـن منظـور الإمـام عـلي (عليـه السـلام) هـي: الصـبر، والعدالـة، وحفـظ الكرامـة الإسـلامية، التواضـع، الخلـق الحسـن وغـير ذلـك.

- مراعـاة كل هذه الأصـول الأخلاقية تحـد من شـيوع الفسـاد الإداري والتسـيب الأخلاقي في الإدارة.

- الأخلاقيـات الإداريـة تنقسـم بين ما هـو فـردي ومـا هـو اجتماعـي، وتتجلّى في المسـؤولية الفرديـة كالأسـاس، وارتباطهـا بالمسـؤولية الاجتماعيـة والهـدف الأسـاس هـو تحقيـق الأهـداف العامـة والمصالـح الجماعية.

- لا بـد مـن الاهتـمام بالضمـير وإيقاظـه لرعايـة الأخلاقيـات الإداريـة؛ لأنـه يوجـه التصرفـات ويؤكد الإحسـاس بالمسـؤولية ويمنـع شـيوع مظاهر الفسـاد.

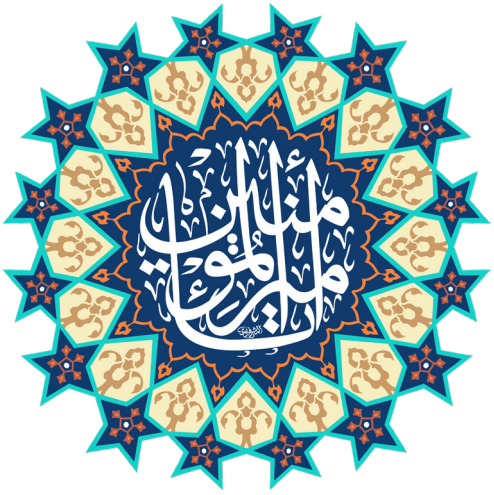

المصادر والمراجع

خير ما نبتدأ به القرآن الكريم.

- نهج البلاغة.

- إبراهيم التلوع، أبوبكر. (١٩٩٥ م). الأسس النظرية للسلوك الأخلاقي. بنغازي: منشورات جامعة قان يونس.

- ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله. (١٩٥٩ م). شرح نهج البلاغة. تح: محمد أبو الفضل إبراهيم. دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه.

- ابن زكريا، يحيى بن عدي بن حميد. ١٣٧١هـ. ش. تهذيب الأخلاق. مقدمة، تصحيح، تعليق: سيّد محمد دامادي. (ط ٢). تهران: مؤسسه مطالعات وتحقيقات فرهنگی. [طهران: المؤسسة الثقافية للدراسات والبحوث].

- الحسيني، السيّد علي فضل الله. ١٩٨٣ م. الأخلاق الإسلامية. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

- الراوي، عبد الستار عز الدين. (١٩٨٤ م). فلسفة العقل. بغداد: دار الحرية للطباعة.

- الطوسي، خواجه نصير الدين. (١٣٥٦. ش). أخلاق ناصري. تصحيح مجتبى مينوي وعليرضا حيدري. تهران: خوارزمي.

- المطيري، حزام ماطر، (٢٠١٠ م)، الإدارة الإسلامية: المنهج والممارسة، مكتبة جرير.

- أمين، أحمد. ١٩٦٩ م. الأخلاق. بيروت: دار الكتاب العربي.

- عبده فلية، فاروق؛ وأحمد. (٢٠٠٤ م). معجم مصطلحات التربية لفظاً واصطلاحاً. الإسكندرية: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر.

- الغزالي، محمد بن محمد. (١٣٨٧. ش). كيمياى سعادت. به كوشش حسين خديو جم. تهران: شركت علمی وفرهنگی. [كيمياء السعادة،

اهتم به حسين خديو جم، طهران: مؤسسة علمية ثقافية].
- المجلسي، محمد باقر بن محمد تقي. (١٤٠٣ هـ). بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار (عليهم السلام). محقق عبد الزهرا علوي، محمد باقر محمودي. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- محمد حسان، حسن؛ ومحمد حسين العجمي. (٢٠٠٧ م). الإدارة التربوية. عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع.
- نيك گوهر، عبد الحسين. (١٣٧٨ ش). مبانى جامعه شناسي. تهران: سمت.